بانوراما مفصّلة للحياة في داخل المخيم تحمل قدراً كبيراً من الصحة. ورغم الاقحامات «الرمزية» الفجة لهذا السياق وتكرارها المستهلك (الام الغائبة التي تشق الطريق نحو الوطن، ولوحة «صابر» الناقصة)، الا أن الواقع البسيط يبقى أكثر تاثيراً وحضوراً من الرمز المقحم.

لكن أفنان القاسم يعود في القسم الثاني لينقض وعده بالصدق، ويرتد من جديد إلى موقعه ليجهز على أساس صحيح بناه ويدمر ثراء الواقع وشكل تحققه الفني الذي أشارت إليه البدايات ورسمت خطوطه، اذ ينسلخ عن الحقيقي والواقعي ويغرق في الاكذوبة، فيجهض على المحاولة، ويبقى القسم الأول من «الشوارع» يتيماً بلا امتدادات ولا جذور.

ففي القسم الثاني، يزج الكاتب بالحشد الاكبر من شخصياته التي عشنا معها من قبل، في معتقل وهمي... ويخلق بينها علاقات وهمية، طمعاً للوصول - بالاسلوب ذاته - إلى فكرته التي تعادل الاحتلال بالمعتقل وصورته. فالاحتلال هو سجن للشعب ومعتقل كبير. وفي معادلة أفنان القاسم للاحتلال بالمعتقل نفقد صورة الاثنين معاً وحقيقتهما، فلا المعتقل هو معتقل حقيقي، ولا الاحتلال هذه صورته الواقعية.

ان العجز عن تملك الصورة الحقيقية، يدفع بالعاجز إلى الشطط في الأوهام المضخمة و«الاعلام» الردي»... «اختاروا، عشوائياً، من الرجال والنساء، من بينهم أبو ايليا، وحارس البلدية، وام عثمان، وزياد صفوهم، وقتلوهم» (ص١٦٣). ويستعيض عن الوصف الفني باشكال متهالكة من النعوت الاخلاقية الحادة: «جنود العدوان»، «الصهاينة»، «جنود القتل»، «جنود الموت»، «سجون القمع الاسرائيلية»... إلى آخر هذه التسميات التي لا تليق بكتابة تدعي انتماءها إلى حقل من حقول الابداع.

وفي القسم الثالث، ثمة عرس مجازي في عمان يرمز إلى الولادة العلنية للمقاتل الفلسطيني المتشق سلاحه (صلاح الدين رمز التحرير والخلاص وعريس المرحلة)... «كانت كل امرأة تقوم بعمل استعداداً لزفاف ابنة صالحة، بدرية، على الفدائي صلاح الدين» (ص١٧٨). وفي العتمة الموازية لهذا العرس، ثمة مؤامرة تحاك في الخفاء، تدفع بالعريس إلى التخلي عن صمدة عرسه، والاختفاء من أجل مواجهة المؤامرة التي انفجرت في أيلول عمان، قاذفة بالدبابات التي «مزقت جسد بدرية على فراش العرس، وجسد حسين ابن أم سعيد، وجسد ام صلاح الدين وفي حضنها علاء الدين، كذلك جسد الحاج بعد أن هدمت مقهاه، وأبو توفيق، والحلاق عبده، وحليمة، وأم عفيف، دون أن تفرق بين أطفال وعجائز» (ص٢٢١). فيا لها من صورة أخلاقية جد مختزلة لأيلول عمان الأسود!

ويبقى الحديث عن فيض «الشخصيات» الرمزية والاحداث «الرمزية» ضرباً من التكرار، نقفز عنه رغم اصرار الكاتب على تكراره واستعادته باشكال متباينة لكنها متطابقة من حيث الجوهر. وأما رومانسية الكاتب (الثورية) فنقرأ منها هذه السطور: